14 me Année No. 656

Lundi —28—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٦٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٥ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين شيخ وشاب :

حوار ســـياسى

فى مجلس من مجالس الرأى يندو إليه صحابة من أحرار الفكر قد اطمأنوا فى حياتهم الوديعة إلى قسمة القدر بعد أن اضطربوا فى المكاسب ، وتقلبوا فى المناصب ، وتمرسوا بالأمور ، وبلغوا غاية المقدور لهم من مطالب العيش ومآرب النفس ؛ فهم يمثلون الرأى الصريح ، ويستعملون المنطق الخالص ، ويرفعون أنفسهم فوق الأوضاع والأطماع والسياسة ، فلا تقيدهم وظيفة ، ولا تعبّدهم شهوة ، ولا يقودهم حزب ؛ فى هذا المجلس تُستعرض كل ليلة أخبار اليوم وأقوال القوم ، فتوزن بالميزان القسط ، وتنقد بالنظر الثاقب ، فلا يورَد خبر أو قول إلا حاكه رأى ، ولا رأى إلا هاجه اعتراض ، ولا اعتراض إلا ساوره شبهة .

وأكثر السامرين فى هذا المجلس من الكُنتيين ، فكثيراً ما تسمع كنتُ وكنتُ ، وقليلا ما تسمع سأكون وأكون ؛ لذلك كان التشاؤم الذى تقتضيه ذكرى الماضى ، غالباً فيه على التفاؤل الذى يستوحيه رجاء المستقبل ! والشباب الذين يختلفون إليه يهولهم منه عُرى الحقيقة وجفاء الواقع ، فيستحبون عليهما توشية الأحلام وتزوير المنى ، ليستديموا لأنفسهم بواعث النشاط وحوافز الأمل :

وفى إحدى الجلسات الأخيرة جرى بين شاب من هؤلاء وشيخ من أولئك هذا الحوار نسوقه إليك على سرده تصويراً لروح هذا المجلس :

الشاب : وما ذنبنا فى هذا الضعف الذى نعانيه ؟ أيستطيع قصير القامة أن يطول ، ورخو العظام أن يصلب ؟ .

الشيخ : أما الضعف الناشئ عن قلة العدد وضيق الرقعة فلا حيلة لنا فيه ؛ وأما الضعف الناشئ من سوء الخلق وقلة العلم فلا عذر لنا منه . والناس يقوَّمون بالأرواح لا بالأجساد ، ويقدَّرون بالصفات لا بالأعداد . فلو كان الشرقيون قد بلغوا ما بلغ الغربيون من المدنية والثقافة ، لاستحيا هؤلاء أن يعاملوهم كما يعاملون الأرقاء ، وأن يساوموهم كما يساومون الأشياء !

الشاب : وهل يمنعنا هذا الضعف العارض من أن نطلب الحق ونغضب له ونفاوض فيه ؟

الشيخ : وهل تطلب حقك من غاصبيه إلا بإحدى وسيلتين : وسيلة القوة وليس لك جيش ، ووسيلة المنطق وليس عندك سياسة ؟ إن طلب الحق على هذه الحال استجداء ؛ والمستجدى يسأل ولا يفاوض ، ويقبل ولا يعارض !

الشاب : إن الضعيف يستطيع أن يخدش إذا لم يستطع أن يبطش . والخدش فى وجه القوى عيب يهمه ألا يكون

على أن القوة ستحققها الجامعة العربية . ومن حبات الرمل يكون الجبل ، ومن قطرات المطر يكون النهر . واستعباد الفرقة المتحدة عسير ؛ وازدراد الكتلة الضخمة أعسر . ومتى تيسرت

القوة للقادة ، تيسرت الحجة للساسة .

الشيخ : إن الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره . ولو كان (إيدن) يخشاها لما أوحاها . والعبرة ليست بالعدد كما قلت لك ؛ فإن فى الهند وفى جزر الهنـد كية ، ولـكن فى انجلترة وهولندة كيفية . ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور!

على أن العرب تيقظوا متأخرين . تيقظوا فى عصر الذرة ، ولو أنهم استيقظوا فى عصر الفحم لوجدوا مسافة تخلفهم عن الغربيين فيه تبلغ قرناً أو نزيد .

الشاب : وماذا يضير لو كانت الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره ما دام يومها لغدنا وأمرها بيدنا وقوتها بنا وخيرها لنا ؟ وهل يقدح فى ملـكيتك لبيتك أو يمنع من انتفاعك به أن يعاونك صديق على بنائه ليستند إلى جداره ، أو يفىء إلى ظله وهو فى الطريق إلى داره ؟

على أن الإنجليز أكيس من أن يناصبوا العرب العداء ، فإن البلاد العربية إذا عادتهم يكون موقعها من ملـكوتهم موقع الغصة فى الحلق والخثرة فى الدم ، هذه تقف القلب وتلك تكظم النفس : وما كان أيسر الغصة وأهون الخثرة لولا أنهما اعترضتا طريق الحياة ! ونشوب العظم فى حلقك يؤذيك وقد يرديك ، ولـكنك لا تتخلص منه بالرصاص إلا إذا تخلصت من نفسك !

ذلك إلى أن الخلاف بين الدول العظمى على استعمار الشرق يقبض عنان كل دولة عن الافتيات بالأمر والجنوح إلى القوة . ولو صح أن روسيا وفرنسا تسيران وحيًّا فى طريق الـكشف عن القنبلة الذرية ، لـكان من أمل الأمم الضعيفة أن تجداها حتى يصبح التهديد بها عبثاً لا يجدى ولغواً لا يفيد !

الشيخ : أوافقك على أن موقع البلاد العربية يملك على انجلترة الحياة والموت ، وأن الخلاف بين الدول المستعمرة يفوّت على كل منها الانفراد بالرأى والحكم ، وأن شيوع الطاقة الذرية يُبطل الركون إلى القوة فى تسويغ العدوان والظلم ؛ ولـكن مَن مِن الساسة الذين تراهم اليوم يتبوأون كراسى الحكم فى دول العروبة يستطيع أن يستغل هذه الأسباب لفائدة مصر ومنفعة العرب ؟ إن أكثرهم يحترفون السياسة من غير أداة ولا آلة . وإن وثوب من يثب منهم إلى الحكم أو بقاءه فيه ، إنما يعتمد على ذرائع طبيعية ليس منها على كل حال براعة الذهن ولا نبالة الفرع ولا إرادة الشعب . وأمثال هذه (الـكفايات) التى أقامتها المصادفة والحظوظ على أسناد من الدعاية والخداع والتمليق والتفريق والمحاباة والتساهل لا يمكنها أن تزاول الإصلاح لأنها صنيعة الفساد ولا أن تصاول القوة لأنها وليدة الضعف ، فقصارى أمرها تصانع ولا تصنع ، وتقول ولا تعمل ، وتدور ولا تسير . وما بقى الرجل الذى يخلقه الله للاصلاح ويرسله بالهدى ويؤيده بالخلق لا يزال وراء الغيب ، فإن الأمل فى وحدة العرب ونهضة الشرق يظل أوهن من خيال الهباء وأبعد من أشباح الوهم ! وإنى لأجهد النظر والفكر وأنقصاهما فى الأفق الناءم البعيد فلا أتبين لظهور هذا الرجل المنتظر شرطاً ولا علامة .

الشاب : أراك أسقطت الشباب من حسابك ، كأنهم ليسوا أحرياء بحمل الشعلة وهم ثمار جهد طويل بذلته الأمة فى تنشئتهم وتثقيفهم ؛ فهل كانت الشهادات المختلفة الدرجات والغايات والألقاب الممنوحة من المعاهد والجامعات ، دلائل على الجهل وعناوين للأمية ؟

الشيخ : إن الأبناء أشبه بآبائهم من الليلة بالليلة . وإن الدار والمدرسة على حالها الحاضرة لتعجزان عن تخريج طبقة من الشباب يخرج منها ذلك الرجل الموعود الذى تموت (أنا) فى نفسه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فلا يحس إلا لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ؛ ثم يرتفع بسمو نفسه ونزاهة هواه عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولا أو يعمل عملا إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده .

الشاب : إنك يا سيدى تسرف فى التشاؤم لأنك شيخ !

الشيخ : وإنك يا بنى تسرف فى التفاؤل لأنك شاب ولعل الحق أن يكون بينى وبينك !

أحمد حسن الزيات